



التحديات الجيوبوليتيكية التي تواجه الأمن المائي العراقي

عبد الزهرة شلش العتابي^{1*} و أعياد عبد الرضا عبدال²
¹كلية التربية الاساسية / الجامعة المستنصرية و ²كلية التربية (بن رشد) للعلوم الانسانية / جامعة بغداد / العراق
*Corresponding author : dr.abdaletabi_2008@yahoo.com

الخلاصة

أكدت المعاجم العربية إن اشتقاق تسمية العراق من عروق الشجر، أو لأنه يقع على شاطئيّ دجلة والفرات. وكان العرب يسمون السهل الرسوبي بأرض السواد، وفي القران الكريم ذكر اسم الفرات في ثلاث سور . ولقد جاء في الكتاب المقدس العبارة الآتية: "وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة). ويعد مشروع كاب من أهم المشاريع التركية المقامة على نهري دجلة والفرات وهو أضخم مشروع في العالم من حيث المساحة، يتألف من 22 سدا و19 محطة كهربائية فضلا عن مشروعات أخرى متنوعة في قطاعات الزراعة والصناعة والمواصلات والري والاتصالات، وبعد منتصف عام 2003 بدأت إيران بتنفيذ سياستها المائية في العراق على نهر دجلة حيث أخذت بقطع العديد من الأنهار المشتركة مع العراق وهذا بالطبع اثر سلبي على حصة العراق المائية من نهر دجلة. إن الأزمة المائية هي الأخطر التي يتعرض لها العراق منذ نصف قرن وصفها الخبراء بأنها فجوة مائية خسر العراق جراءها 40% من أراضيها الزراعية . مما أدى إلي توقف المحطات الكهرومائية في دربندخان والموصل وسامراء . وتتحكم تركيا بأكثر من 80% من مياه دجلة والفرات، وذلك يعني أن نقصاً خطراً ومهلكاً بإمدادات المياه الواصلة إلى العراق سيحدث في غضون سنوات. إن القوانين والمواثيق الدولية تقر في حقوق الدول المشتركة في الأنهار. وقد وقعت تركيا نفسها على أكثر من ثلاث عشرة معاهدة وبروتوكول وبيان مشترك مع كل من سوريا والعراق.

Geopolitical challenges facing the Iraqi water security

Abdul-Zahra Shalash Aletabi^{1*} and Ayad Abdulridha Abdal

¹Mustansiriya University and ²Baghdad University, Iraq.

*Corresponding author: dr.abdaletabi_2008@yahoo.com

Abstract

Arabic dictionaries confirmed that derive naming Iraq from the veins of the trees, or because it is located on the shores of the Tigris and Euphrates rivers. Arabs called sedimentary easy land of blackness, and in the Koran stated Euphrates name in three chapters. And I came in the Bible the following words: "It was a river out of Eden to water the garden). The project Cap of the most important Turkish built on the Euphrates and Tigris rivers project which is the largest project in the world in terms of area, consisting of 22 dams and 19 stations, electric as well as projects various other in agriculture, industry, transportation, irrigation and telecommunications sectors ., after mid-2003, Iran began to implement water policy in Iraq on the Tigris River where it has cut off many of the common rivers with Iraq and this of course impact negatively on aquatic Iraq's share of the Tigris River. the water crisis is the most serious suffered by Iraq in half a century experts described as water gap lost Iraq juniors 40% of its agricultural land., which led to the suspension of hydroelectric

stations in Derbandikhan, Mosul and Samarra. and govern Turkey for more than 80% of the Tigris and Euphrates, and it means that the shortage dangerous and fatal hyphen water supplies to Iraq will happen within a few years. the laws and international conventions recognizing the rights of the States participating in the rivers. Turkey has signed itself on more than three dozen Treaty and the Protocol and a joint statement with both Syria and Iraq.

المقدمة

الماء ضروري في الحياة وهو المورد الذي أودع الله سبحانه وتعالى فيه سر الوجود حيث جاء في آياته الكريمة: (وجعلنا من الماء كل شيء حي).

وشاء التوزيع الجغرافي والقدر إن تكون أهم انهار العراق ذات منشأة أجنبي تتدفق مياهها إلى أرضه من دول مجاورة عدت هي دول المنبع والعراق المصب. ويصح هذا الواقع على نهري دجلة والفرات العظيمين في العراق والذي اقترنت أرضه باسمهما فأصبحت تعرف باسم بلاد الرافدين قبل إن يتكون العراق. وعلى ضفاف هذين النهرين بنى العراقي أقدم حضارات العالم. وقد اتسعت تسميات العراق عبر آلاف السنين وكانت متعاقبة مع نهري دجلة والفرات، وعلى سبيل المثال أكدت المعاجم العربية إن اشتقاق تسمية العراق من عروق الشجر، أو لأنه يقع على شاطئ دجلة والفرات وتسمية أخرى التي فضلها الكتاب الكلاسيكيين هي تسمية (ميسو بوتاميا) (بلاد الرافدين) أو (بلاد ما بين النهرين)، المشتقة من كلمة (ميسو) تعني (وسط) و(بوتاميا) تعني (الأنهار)، وقيل: العراق شاطئ النهر أو البحر على طوله، وقيل عراق لأنه على شاطئ دجلة والفرات حتى يتصل بالبحر. وتوجد لوحات عديدة تبين ألاله (أنكي)، إله المياه في مشهد ديني جالسا على عرشه حاملا بيده "الكأس / الإناء الفوار"، والذي يجري منه وبوضوح مجريان للماء (دجلة والفرات)، كما أن هناك روافد أخرى يقدمها الإله انكي إلى بني البشر. ولكن البلاد اليوم تعاني من تحديات حضارية وتنموية كبيرة من جراء السياسات المائية لدول الجوار وخصوصا الحكومة التركية من خلال ما تنفذه من مشاريع متعددة تتعلق بالسود والخرانات لأغراض سياسية. وكل هذا ساهم في تلوث الأنهار ومياه الشرب في العراق علاوة على تعطيل المشاريع الإنسانية والاقتصادية لسكان العراق المتزايد في الحجم والنمو، وهذا يمس بتسميات العراق الحضارية ويؤثر في هويته التاريخية ويهدد أسس التعاون الإقليمي بين دول المنطقة.

مشكلة البحث: وتتخلص بانخفاض مناسب المياه في نهري دجلة والفرات بسبب سوء العدالة التوزيعية للمياه من قبل تركيا مع نمو سكاني متصاعد في العراق. وكل ذلك يخلق تداعيات عديدة منها تحدي الجغرافية والتاريخ للعراق وحضارته التي اقترنت اسمها بحضارة وادي الرافدين علاوة على مفاصل الحياة الاقتصادية والاجتماعية الأخرى.

فرضيات البحث: ينطلق البحث من فرضيتين الأولى مفادها إن تسمية العراق اقترنت بنهري دجلة والفرات وان حضارته وتاريخه والموقع الجغرافي لأغلب مدنه ارتبطت بهذه الأنهار والثانية إن انخفاض نهري دجلة والفرات يؤدي إلى تحديات مستقبلية تنعكس على الجوانب الحضارية والتنموية لسكان العراق.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى توضيح التأصيل التاريخي والجغرافي لنهري دجلة والفرات وعلاقة ذلك بحضارة وادي الرافدين ومصطلح ميزوبوتاميا أي بلاد ما بين النهرين. علاوة على التحديات الحضارية الحالية التي تواجه هذه الأصول الجغرافية والتاريخية من خلال انخفاض المياه ومن ثم جفاف نهري دجلة والفرات في

السنوات المقبلة ، وما يتركه ذلك من آثار كبيرة في حضارة وحياة المجتمع العراقي. وإمكانية إن تكون المياه مجالاً للتعاون بدلاً من الصراع بين دول الجوار الجغرافي.

كما يرمي البحث الوصول إلى إن مصادر المياه العذبة يمكن أن تكون عاملاً للتعاون بدل أن تكون دافعاً للصراع عن طريق عقد الاتفاقيات بين دول الحوض فضلاً عن إمكانية الاستفادة من التعاون الاقتصادي بين الدول المعنية. مستفيدين من مقومات التقارب الإقليمي المتضمنة المصالح المشتركة والجوار الجغرافي ووحدة المعتقد الديني المتمثل بالإسلام، والشراكة التجارية بينهما.

منهجية البحث: تضمنت منهجية البحث ثلاثة مناهج وهي المنهج التاريخي والإقليمي والتحليلي وكل هذه المناهج متبعة في الميادين الجغرافية وخصوصاً في مجال الجغرافية السياسية.
هيكلية البحث: تناولت الهيكلية ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: الجذور الحضارية لانهار العراق.

المبحث الثاني : السياسات المائية لدول الجوار في نهري دجلة والفرات

المبحث الثالث : الآثار الاقتصادية والاجتماعية الناتجة من انخفاض مياه النهرين وانتهى البحث بخاتمة وتوصيات فضلاً عن المقدمة وقائمة المصادر والهوامش.

المبحث الأول: الجذور الحضارية لانهار العراق

يتضمن هذا المبحث ثلاثة جوانب تتعلق بالتأصيل التاريخي والحضاري لنهري دجلة والفرات من حيث التسمية واقتران حياة بعض الحضارات في النهرين علاوة على علاقة تسمية العراق بنهري دجلة والفرات وموقع النهرين في الديانات السماوية ووصفهما من الناحية الجغرافية.

اولاً: تسمية العراق وعلاقتها بنهري دجلة والفرات:

1 - عروق الشجر: أكدت المعاجم العربية إن اشتقاق تسمية العراق من عروق الشجر، أو لأنه يقع على شاطئيّ دجلة والفرات. وكان العرب يسمون السهل الرسوبي بأرض السواد، واتسع مدلول كلمة السواد حتى صارت هي العراق، لفظتين مترادفتين في الغالب(1). وكان العرب يطلقون على القسم الجنوبي من العراق اسم أرض السواد أو العراق والقسم الشمالي الجزيرة، وهو ما يطابق هذه التسمية(2). وترجع تسمية البلاد باسم السواد إلى كثرة المزروعات والأراضي السوداء المستغلة في الزراعة. وفي المعاجم اللغوية العربية تفسيرات لأصل كلمة العراق يمكن إجمالها بما ورد عند ابن منظور إذ يذكر أن العراق: سمي عراقاً لتواشج عروق الشجر والنخل به كأنه أراد عراقاً ثم جمع على عراق، أو أنه اسم عجمي معرب من (إيران شهر)، معناه: كثيرة النخل والشجر أو موضع الملوك، فعرب إلى عراق، ويعود تاريخ النخلة وتربيتها وتحسينها وانتشارها في كل أصقاع وسط وجنوب العراق إلى السومريين القدماء(3). وبعض المصادر تقول هنالك اختلاف في أصل كلمة العراق، فهي في اللغة العربية قد تعني شاطئ البحر، وبهذا سميت هذه الأرض (عراق) لقربها من البحر (الخليج)، أو لأنها على شاطئيّ دجلة والفرات، وكان أهل الحجاز يسمون البلاد القريبة من البحر (عراقاً). وفي اللغة العربية أيضاً (أعرق أو تعرق) الشجر، إذا امتدت عروقه في الأرض، وسمي (العراق) لكثرة عروق الأشجار في الأرض. كما وأن العراق أصل كل شيء، والعريق: الرجل كريم الأصل. والعراق يطلق على شاطئ البحر والنهر طولاً. ويرى البعض الآخر إن البلاد سميت بالعراق نسبة إلى (عروق أشجار النخيل) التي تتواجد بكثرة في جنوب ووسط العراق(4).

قال أبو القاسم الزجاجي : قال ابن الإعرابي : سمي عراقا لأنه سفل عن نجد ودنا من البحر ، أخذ من عراق القربة ... ، قال : وقال غيره العراق في كلامهم الطير ، قالوا : وهو جمع عرقة (بفتح العين والراء) ، والعرقة : ضرب من الطير . ويقال أيضا : العراق جمع عرق (بكسر العين) ، وقال قطرب : إنما سمي عراقا لأنه دنا من البحر وفيه سباح وشجر ، يقال : استغرقت إبلهم إذا أتت ذلك الموضع ، وقال الخليل : العراق شاطئ البحر ، وسمي العراق عراقا لأنه على شاطئ دجلة والفرات مَدًا حتى يتصل بالبحر على طوله ، قال : وهو مشبه بعراق القربة وهو الذي يثني فيخرز ، وقال شمر : قال أبو عمرو سميت العراق عراقا لقربها من البحر عراقا(5).

وظهرت في تسمية العراق اجتهادات عديدة، منها مقالة الأصمعي أن كلمة العراق "تعريب إيراك شهر، أي كثير النخل والشجر، أو إيراك الفارسية البعيد(6). أيد أرنت هرتسفلد أصل التسمية الفارسي، فقال: تعريب لفظ "إيراك ومعناها البلاد السفلى، وهي تعني الجنوب(7).

2- ميسو بوتاميا: فضل الكتاب الكلاسيكيين تسمية (ميسو بوتاميا) (بلاد الرافدين) أو (بلاد ما بين النهرين)، المشتقة من كلمة (ميسو) تعني (وسط) و(بوتاميا) تعني (الأنهار)، ولا يعرف بالتحديد الفترة التي بدا فيها استخدام هذا المصطلح.

ولقد أطلق المؤرخ اليوناني بوليبيوس Polybus (202-120 ق. م.) اسم ميزوبوتاميا Mesopotamia على هذه المنطقة، وهي كلمة يونانية (إغريقية) مكونة من مقطعين، الأول (ميزو) مشتق من (ميزوس) وتعني وسط / مابين، أما المقطع الآخر (بوتاميا) فإنه مشتق من كلمة (بوتاموس)، وتعني نهر، فأصبح المصطلح المعروف ميزوبوتاميا منذ ذلك الحين وحتى الآن ببلاد ما بين النهرين. علماً أن من المحتمل ظهور استعمال هذا المصطلح قبل هذا التاريخ، وفي زمن الاسكندر الكبير (المقدوني)، (356-323 ق. م.)، والذي احتل بابل في سنة (331 ق. م.).

والعراق التاريخي يتألف من إقليمين أساسيين كبيرين ، هما : ارض السواد والجزيرة الفراتية وبينهما بغداد ، وهما اللذان يؤلفان بلاد ما بين النهرين القديمة Mesopotamia التي وردت في الأدبيات الكلاسيكية القديمة لكل من الإغريق والرومان (كتابات أريان اكرنافون مثلاً ، وقران بطليموس ومعلوماته). ان النهرين العظيمين دجلة Tigris والفرات Euphrates من أهم انهار الدنيا وماؤهما من أعذب المياه ، ودجلة أسرع جريانا من الفرات ومن هنا جاءت تسميته بـ " Tigris " (أي : النمر) ، كما تذكر الأدبيات الإغريقية المذكورة أنفا) - ولكن الفرات أطول بكثير من دجلة وتصب في النهرين عدة انهار تغذيها وهي تمتد من كل سلاسل الجبال في كل من تركيا وإيران وما بينهما : أرمينيا وكردستان . إن الشريانين دجلة والفرات هما أساس حياة العراق ووحدته وتماسكه منذ أقدم العصور .

لقد انتشر مصطلح ميزوبوتاميا بشكل واسع في العالم، وبالأخص في أوروبا، وذلك بعد ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية في الإسكندرية (والمسماة بالترجمة السبعينية)، في العهد السلوقي / البطليموسي، في القرن الثاني قبل الميلاد، حيث ترجم المصطلح التوراتي (أرام نهرايم Aram Nahraim) إلى المصطلح ميزوبوتاميا. علماً أن مصطلح (أرام نهرايم) هو اسم لدولة أرامية ظهرت في منطقة الفرات الأوسط (شمال سوريا) في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، والنهران المقصودان هما الفرات ورافده الخابور أو البليخ أو كليهما معاً، واختفت هذه الدولة من الوجود عندما قضى عليها الآشوريون في القرن التاسع قبل الميلاد(8).

3- شاطئ النهر: وقد جاء العراق اسماً لفناء الدار أيضاً، وقيل: سمي (عراق المزايدة) وهي الجلدة التي تجعل على ملتقى طرفي الجلد إذا خرز في أسفلها لأن العراق بين الريف والبر، وقيل: العراق شاطئ النهر أو البحر على طولها، وقيل عراق لأنه على شاطئ دجلة والفرات حتى يتصل بالبحر. ولو لم يكن اسم العراق قديماً لما اختلف حول ذلك الرواة والمفسرين والمؤرخين والبلدانيين. وإذا ما علمنا إن أغلب البلدانيين يشجعون على هذا التفسير الأخير (القرب من البحر) لوجدنا أنه يقترب كثيراً من التفسير الأول (الداني من البحر) وإن هذين التفسيرين هما الأصل في التسمية ولا يخرج تفسير شاطئ دجلة والفرات حتى البحر عن هذه العلامات المميزة في حياة هذه البلاد القديمة التي يعود أصل أراضيها إلى التكوينات الرسوبية لكل من دجلة والفرات منذ ملايين السنين، إن العراق الابن الشرعي لكل ما تكون من هذين النهرين القديمين منذ ملايين السنين.

4- الكاس الفوار: في الواقع التاريخي فإن بلاد النهرين تسمية أقدم من ذلك بكثير، إذ حسب رأي الدكتور أحمد سوسة، فإن "الكأس الفوار"، وهو شعار الساميين في العراق، حيث توجد لوحات عديدة تبين أله (أنكي)، إله المياه في مشهد ديني جالساً على عرشه حاملاً بيده "الكأس / الإناء الفوار"، والذي يجري منه وبوضوح مجريان للماء (دجلة والفرات)، كما أن هناك روافد أخرى، ويقدمها الإله إنكي إلى بني البشر (9). من أعلاه نرى أن اسم العراق، مرتبط ارتباطاً وثيقاً بدجلة والفرات وشط العرب والروافد، ولا يأتي اسم العراق إلا ويأتي معه تعبير النهرين أو ما بينهما.

هذا وأن اسم العراق (أو بلاد ما بين النهرين) يربط دائماً، من قبل المؤرخين عبر التاريخ، بالزراعة ومشاريع الري وخصوبة الأرض، والخير الزراعي الوفير. والمهم أن ندون هنا ما ذكره هيرودتس حول خصوبة الأرض في وادي الرافدين، حيث يقول: "إن أسيريا (أشور) وكمنطقة منتجة للحبوب، فإنها الأغنى في العالم. إذ أن خصوبة حقول الحبوب، جعل عائلية - غلة - المحصول، تصل إلى 200 مرة من الحبوب المزروعة، وفي سنوات نادرة تصل إلى 300 مرة".

إذن نحن أمام عدة تفسيرات لمعنى العراق، إذ يمكننا إدراج تسميات العراق كالتالي: (الداني من البحر أو ضرب من الطير أو جمع عرق أو فيه سباح وشجر) (السباح: الأرض السبخة أي ذات ملح ونز)، أو موضوع استعراق الإبل أو شاطئ البحر أو شاطئ دجلة والفرات حتى البحر أو المنتهي المخرز أو إيران شهر أو عروق الشجر أو منابت الشجر أو القرب من البحر (10).

يقول جيمس هنري براستد في كتابه الممتاز "العصور القديمة": "ولا عجب في خصبه (العراق) لأنه متكون من رسوب الأترربة التي تحملها مياه النهرين العظيمين كل سنة وتلقيها عليه.. إنه بالفعل قلب الهلال الخصيب (11).

ثانياً: دجلة والفرات في الأديان:

1- الإسلام: لقد وردت آيات كريمة عديدة في القرآن الكريم تناولت الأنهار بشكل عام ونهر الفرات بشكل خاص ومنها على سبيل المثال قال تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) (12). صدق الله العظيم.

وفي القرآن الكريم ذكر اسم الفرات في ثلاث سور: (السورة الأولى) وهو الذي فرج البحرين هذا عذب فرات وهذا امّح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً (13). وفي السورة الثانية (وما يستوي البحران

هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج، ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها ونرى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (14). والسورة الثالثة (ألم نجعل الأرض كفافاً، أحياء وأمواتاً، وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فرات)(15).

كما روي عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حينما عرج إلى السماء الدنيا وجد عليه الصلاة والسلام نهريين عظيمين مُطْرَدَيْن ماء ، فقال (صلى الله عليه واله وسلم) لجبريل عليه السلام (ما هذان النهران يا أخي جبريل ، قال هذان النيل والفرات عنصرهما أي أصلهما من الجنة) وكذلك ماروي عن الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بقوله (وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبُفُهَا كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجْرٍ ، وَوَرَفُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفَيْوَلِ ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيْلَ فَقَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ (16).

2 - المسيحية: لقد جاء في الكتاب المقدس: "وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. اسم الواحد فيشون.. واسم النهر الثاني جيحون.. واسم النهر الثالث حدافل.. والنهر الرابع الفرات(17). ولكي يكون هذا الكلام صحيحاً، ينبغي أن نتأكد من وجود الأربعة أنهار. وبالبحث الأولي نلاحظ وجود نهريين في العراق باسم نهر "الفرات" ونهر "دجلة"، وهو نهر "حدافل". ومن هنا يصبح احتمال وجود جنة عدن في العراق أمراً متوقعاً. ولكن أين باقي الأنهار؟

لقد حاول الكثير من الباحثين في البحث عن باقي الأنهار عبر التاريخ، وكانت آراء كثيرة في هذا الصدد. فالبعض أعلن أن المقصود بالنهريين فيشون وجيحون هو نهر النيل، وآخرون يقولون أنهما نهر آراس أو نهر الهندوس. ولكن هذه التخمينات لا تتفق مع ما يذكره الكتاب المقدس، لُبعد المسافة بين هذه الأنهار وبين نهري دجلة (حدافل) والفرات. واقترح البعض أن اسم نهر "كوخا" في جنوب غرب إيران، حيث كان هذا النهر يصل قديماً في الخليج العربي (الفارسي) مع نهري دجلة والفرات. إلى أن أتى العالم والباحث الألماني "دلنش" واكتشف في بابل قائمة بأسماء الأنهار القديمة التي كانت معروفة وقتئذ، فوجد من بينها أسماء "فيشانو" وهو القريب من "فيشون"، و"جيجانو" وهو متشابه مع "جيحون". ووجد أنهما كانا قريبين جداً من دجلة والفرات(18). لقد جاء في سفر التكوين (ان الفرات احد انهر جنة عدن)(19). وفي (سفر التكوين) ايضاً جاء اسم (أرام نهرايم)(20). وهي تعني أيضاً بلاد ما بين النهرين، ولما ترجمت التوراة إلى اليونانية واللغات الأوروبية فيما بعد شاع استخدام مصطلح (ميسو بوتاميا) ليعني به العراق. وجاء في العهد القديم (التوراة) اسم (سهل شنعار) ليعني منطقة السهل الرسوبي الجنوبي، هو مشتق من الكلمتين الأكديتين (شينا) ومعناها (اثنان) وكلمة (نار) أي (نهر) ليكون معناها (ارض النهريين).

3- المندائية: هي أشد الأديان تقديساً لنهر الفرات حيث يتم التعميد في ماءه لدخول المندائية وانه إحدى انهار الجنة. وعن منشأ وبدايات وجذور ومعتقدات وطقوس وتقاليد ولغة الديانة المندائية وكتابهم المقدس الكنزا هو الكتاب الأول، جاء فيه إن الماء هذا السر الكبير في حياة المندائي والتطهر والتعميد به والذي يستمد منه المتعمد طاقته، وارتباطهم العظيم ببلاد الرافدين فقد ذكرت أسماء دجلة والفرات في كتبهم، ففي طقوس التعميد يوجد الترتيل بالعبارة التالية (الصغير أنا بين الأثير بين الكائنات السماوية، وطفلاً أنا بين شعاعات الضوء، كبريتٌ ونميتٌ وأصبحتُ عظيماً لأنني شربتُ من ماء الفرات)(21). وهذا ما يفسر حبهم وتعلقهم بوطنهم العراق حيث أرض الحضارات ومسقط رأس الأنبياء. والرسول والأولياء.

ثالثاً:- وصف الأنهار: يعد نهري دجلة والفرات شريان الحياة في المنطقة، فإذا كانت مصر هبة النيل فإن بلاد وادي الرافدين هبة لدجلة والفرات، هذان النهران ينبعان من جبال أرمينيا في جنوب القوقاز ويصبان في الخليج العربي(22). وكلمة فرات ذات أصل سومري ووردت في النصوص البابلية تحت اسم "بورتيم" أو "يوراتي" و"بوراتوم" بالأكدية و"أرتازا" في السوبارية، أما دجلة فقد ورد في النصوص القديمة تحت اسم "دقالات" و"أدجلات" و"حداقل" بالعبرية، "أرتزاخ" بالهورية، "تبركا" بالفهرية، والتي تعني السهم لسرعة سيره(4) ويتميز نهر الفرات بأنه أطول من نهر دجلة وأكثر تعرجاً حيث يبلغ طوله 2842 كم مقابل 1840 كم طول نهر الدجلة(23). وهو يمتاز عنه باتساع واديه وعمقه، أما نهر دجلة فإنه يتميز من ناحية أخرى بكثرة روافده التي تتبع من هضبة إيران، وهو بذلك يتلقى إمدادات كثيرة، ولعل أهم روافده نهر الزاب) الأعلى (الذي يصب في دجلة على بعد 64 كم جنوبي نينوى بالقرب من نمرو، ثم الزاب الأسفل إلى الجنوب من ذلك بحوالي 128 كم، ومن هذه الروافد أيضاً نهر ديبالي أدت كثرة الروافد وتنوع مصادرها إلى أن أصبحت الفيضانات . أما أهم روافد الفرات فهما "البليخ" و"الخابور" ويلاحظ أنه رغم أن نهر دجلة أقل اتساعاً من نهر الفرات إلا أن أوعية المياه التي يحملها أكبر، وسرعة التيار في النهرين شديدة مما يؤثر على المجرى الجبلي لهما فيجعل ماء النهرين سريع الجريان مليئاً بالرواسب، وفي بعض الأحيان تؤدي سرعة جريان نهر دجلة وفيضانه المفاجئ إلى غمر الكثير من الأراضي، وفي بعض الأحيان يؤدي إلى أن يشق النهر نفسه مجرى جديداً). وقد كون كل من النهرين دلتما خاصاً به امتد كل منهما تدريجياً إلى الجنوب الشرقي في مياه الخليج العربي، ونظراً للترسبات التي حملتها العديد من الأنهار الأخرى في هذه المنطقة تكون رصيف من مادة فيضية رسوبية في الجنوب عبر رأس الخليج العربي، وأدى ذلك إلى تكوين حاجز أمام نهري دجلة والفرات، مما أدى إلى ترسيب كميات كبيرة من الطمي الذي يحملانه في الأراضي الداخلية فأدى إلى تكوين المستنقعات الطمية، وأدى ذلك إلى وجود إقليمين مميزين في الأراضي المنخفضة لدجلة والفرات وهما السهل الأدنى والسهل الأعلى(24).

المبحث الثاني: السياسات المائية لدول الجوار في نهري دجلة والفرات

اولاً: السياسة المائية التركية: تعد تركيا دولة المنبع لنهري دجلة والفرات لما تتمتع به من إمكانيات طبيعية كبيرة متمثلة بالمرتفعات والثلوج والأمطار والأنهار المتعددة فيها. وبعد العراق وسوريا دول المصب لنهري دجلة والفرات ناهيك عن وجود روافد عديدة تساهم في تغذية الأنهار داخل العراق، علاوة على أن نهر دجلة يقطع 1,718 كيلومتراً. ينبع من تركيا ومعظم جريانه داخل الأراضي العراقية حوالي 1400 كيلو متر ونهر الفرات يقطع حوالي 2940 كم منها 1176 كم في تركيا و 610 كم في سوريا(25). و1160 كم في العراق، وهذا يعني إن الحصة الأكبر في أطوال دجلة والفرات من نصيب العراق.

وتتمثل السياسة المائية التركية بإقامة العديد من المشاريع المتمثلة بالسدود والخزانات التي لحقت أضراراً كبيرة في دول المصب. ويعد مشروع كاب من أهم المشاريع التركية المقامة على نهري دجلة والفرات وهو أضخم مشروع في العالم من حيث المساحة، يتألف من 22 سداً و 19 محطة كهربائية فضلاً عن مشروعات أخرى متنوعة في قطاعات الزراعة والصناعة والمواصلات والري والاتصالات، وقد خصصت تركيا كل عام ملياري دولار أمريكي لانجاز هذا المشروع(26).

ويشمل ثمانين محافظة وعند إتمامه تقارب مساحة الزراعة المرورية من خلاله 8.5 مليون هكتار أي نحو 19 % من مساحة الأراضي المرورية في تركيا، وتوفير 106 مليون فرصة عمل جديدة في هذه المناطق ذات الأثرية

الكرديية. وقدمت بعض الدول دعماً لمشروع الغاب ومن بين هذه الدول: الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، إسرائيل، وفرنسا. وتعد وحدات هذا البرنامج هي جزء من مشروع جنوب شرق الأناضول والذي يعرف اختصاراً بمشروع كاب لكي تتحكم تركيا بمياه النهريين علماً إن مياه دجلة والفرات تشكل نسبة 28% من المياه المتجددة في تركيا . كما تسعى تركيا من خلال هذا المشروع إلى تأمين المياه نحو 1,7 مليون هكتار أي ما يعادل 6,8 مليون دونم(27).

المنتبع لنهر دجلة فإنه ينبع من داخل تركيا لكن الزاب الأعلى والعظيم وديالى يصب فيه فوضع دجلة أفضل نسبياً من الفرات الذي يعاني من قلة المياه بعد مروره في العراق. ولكن مع هذا سعت تركيا لتنفيذ عدة سدود منها سد اليسو وسد الجزيرة على نهر دجلة لكي يتأثر هو الآخر بالسدود والخزانات أسوأ بالفرات. إن أخطر ما يواجه هذا العرض في المستقبل القريب هو الآثار المترتبة بعد إكمال سد اليسو على نهر دجلة عام كما كان مخطط له عام 2013. إذ من المتوقع أن ينخفض تصريف نهر دجلة عند الحدود العراقية التركية من 20,94 مليار م³/سنة إلى (9,7 مليار م³/سنة(28). في حالة إتمام المشروع الذي تأخر عن مواعده.

إن استمرا تركيا في هذه المشاريع مع غياب حالة الاتفاق والتقاسم مع العراق يعد وفقاً للمنظور السياسي حالة من التجاوز على الحقوق المائية للعراق واحد العوامل التي تعيق مبدأ حسن الجوار الذي تعتمده البلدان المجاورة في عالمنا المعاصر(29). لا تعترف بدولية النهريين (دجلة والفرات) وتعتبرهما حوضاً واحداً وتراهما نهران تركيان وطنيان يخضعان للسيادة التركية ، وتطلق عليهما تسمية (مياه ما وراء الحدود) ، في حين يعاني العراق اليوم من أزمة مائية كبيرة بسبب السياسات المائية التركية فضلاً عن المشكلات الطبيعية. إن السياسة التركية عندما تتعلق بالأمر الخاصة بمصالحها عادة تكون ثابتة لن تتغير بتغير حكوماتها وساستها وهذا حال أكثر الدول وعندما قال آنذاك (سليمان ديميرل الرئيس التركي السابق: إن مياه الفرات ودجلة تركية ومصادر هذه المياه هي موارد تركية وكما هو حال آبار النفط تعود ملكيتها إلى العراق وسورية فهي عراقية وسورية ونحن لا نقول لسورية والعراق إننا نشاركهما موارد النفطية ولا يحق لهما القول إنهما تشاركنا مواردنا المائية إنها مسألة سيادة إن هذه أرضنا ولنا الحق في أن نفعل ما نريد). أن تركيا إذا ما فكرت في عقد معاهدة لتقاسم المياه فستعدها بشروطها هي، أي أن تكون هي الطرف الأول والأقوى، وهذا ما أكدته الرئيس التركي السابق سليمان ديميرل عندما قال: «لا نقبل أن نوقع أية معاهدة إلا بإرادتنا ولا يستطيع أحد أن يفرض علينا توقيعها»، وبذلك تستعيد تركيا السيطرة على هذه المنطقة التي فقدتها في أعقاب انهيار الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى. تركيا لا تدع المياه تنساب حرة طليقة إلى دول الجوار التركية من جهة أخرى مما يكسب تركيا إمكانية التحكم والسيطرة بمياه نهر دجلة(30). إن زلزال العراق القادم هو تحويل الماء من مصدر للخير إلى مصدر لإثارة النزاعات والفتن .

ثانياً: السياسة المائية الإيرانية: يشترك العراق مع إيران بأكثر من 40 نهراً عابراً للحدود تغذي مياه حوض نهر دجلة. حيث تخترق هذه الأنهار الحدود الشرقية للعراق مع إيران وتجري في الأراضي الإيرانية مع خط الحدود لتصب في الأراضي العراقية، ويكون امتدادها على امتداد الحدود العراقية الإيرانية من الشمال إلى الجنوب(31).

بعد منتصف عام 2003 بدأت إيران بتنفيذ سياستها المائية في العراق على نهر دجلة حيث أخذت بقطع العديد من الأنهار المشتركة مع العراق وهذا بالطبع أثر سلباً على حصة العراق المائية من نهر دجلة، وبهذا فقد قل كل

وارد مياه نهر دجلة القادم من إيران. والمعروف إن إيران تسهم بنسبة 12% من واردات نهر دجلة من خلال مساهمتها بحوالي 59% من وارد نهر ديجالي و 36% من وارد نهر الزاب الصغير (32). تمثلت السياسة المائية بأعمال عديدة منها محاولة تحويل مجاري بعض الأنهار إلى داخل الأراضي الإيرانية وحرمان العراق من مياهه وإقامة السدود والنواظم الدائمة والمؤقتة للسيطرة على مياه الأنهار ثم حفر عدد من الجداول والقنوات والسواقي لغرض توسيع المساحات الزراعية (33). ويذكر إن معدل الإيراد المائي السنوي لنهر دجلة في العراق عام (1976 بلغ 62,2 مليار م3)، وعام (1988 بلغ 78,6 مليار م3)، وعام (1993 66,3 مليار م3)، وعام (2003 بلغ 48,5 مليار م3)، وعام (2008 13,8 مليار م3) ، وعام (2010 بلغ 35,83 مليار م3) (34). وهذا يدل على إن السياسات المائية لدول الجوار ساهمت بانخفاض نهر دجلة. مثلما هو حاصل بالفرات.

ثالثاً: السياسة المائية السورية: سعت سوريا إلى إقامة 5 سدود على الفرات، أقيمت 3 منها (الكبيرة) في منتصف ستينيات القرن العشرين ضمن مشروع سد الفرات أو سد الثورة الذي شكل خلفه بحيرة اصطناعية كبيرة اسمها بحيرة الأسد تقع في محافظة الرقة قرب مدينة الثورة يحجز كمية من المياه تصل إلى 11.6 مليار متر مكعب قبل مدينة الرقة. واسم السد الآخر هو سد البعث ويقع في محافظة الرقة في مدينة المنصورة وأنشئ السدان الأخيران في أواخر الثمانينات للري السطحي. تنوي الحكومة السورية حالياً إنشاء سد كبير آخر في منطقة التنبني شمال دير الزور. وتطل سوريا على نهر دجلة بحوالي 50 كم لكنها تنوي إرواء حوالي مليون ونصف دونم من أراضيها. وتشكل المشاريع السورية المتاحة على نهر دجلة حدوداً مشتركة بين سوريا وتركيا لمسافة 50 كم ومع العراق مسافة 7 كم (35). وعليه سعت سوريا لإقامة مشروع ري دجلة الكبير المنفذ على نهر دجلة سنة 2007 ويتألف من ثلاث وحدات محطة ضخ (1) وتقع على مقربة من الحدود التركية وتضخ المياه إلى قناة عين ديوار بارتفاع 95 م وبغزارة قصوى تبلغ 48 م³/ثا. ومحطة ضخ عين ديوار وهي قناة صغيرة تنفرع من النهر بطول 25 كم وتصريف 48 م³/ثا وتروي مساحة قدرها (15400) هكتار. ، ومحطة المالكية التي تقع قرب مدينة المالكية عند نهاية عين ديوار وتعمل على ضخ المياه إلى سد المالكية ببغزارة قصوى تبلغ 48 م³/ثا وعلى ارتفاع 52م. (36).

المبحث الثالث: الآثار الاقتصادية والاجتماعية الناتجة من انخفاض مياه النهرين

يؤثر انخفاض المياه على مفاصل الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق. ويتعدى ذلك في التأثير على استقرار السكان وتهديد أمنهم الغذائي والصحي وعلى عاداتهم وتاريخهم وموروثهم الحضاري باعتبار ان العراق بلد الحضارات. وأدناه بعض هذه التأثيرات:-

أولاً: التأثير على الزراعة: إن السكان في تزايد يحتاجون إلى الغذاء ، ومناخ العراق الشبه الجاف ، لا يساعد على توسيع رقعة الزراعة الديمة بسبب اعتماد ذلك على الهطول المطري في المنطقة المضمونة الأمطار التي تشكل نسبة محدودة من مساحة العراق الكلية (37). وان نقص كل مليار مكعب من المياه سيؤدي إلى فقدان أو تجميد مساحات زراعية تقدر ب 250 ألف دونم ، فكيف إذا كان الانخفاض بمقدار 10 مليار م3. وإن قلة المياه في نهر الفرات ودجلة تعني ضمن ما تعنيه تحويل ملايين من الدونمات الزراعية إلى أراضي قاحلة. كما إن السنوات المقبلة ستشهد تعرض العراق إلى نقص في المياه الواردة إليه بما تزيد نسبته علي 50 في المائة من احتياجاته الحقيقية التي يقدرها ب 69 مليار متر مكعب. وهذا يعني نسبة العجز في مياه الأنهار 33 بليون متر مكعب.

والعراق كبلد زراعي يعتمد أسلوب الري بشكل كبير ويمكن الاشارة بالنسبة لدجلة بدأت الخطورة مع بناء سد اليسو بتركيا وهذا السد كبير جدا ويؤثر على تدفق المياه لدجلة ويبعد 50 كيلومتر عن الحدود العراقية وكلفته 1200 مليار بدا التنفيذ 2006 وتاخر تشغيله في عام 2010. لذا فان الأزمة بعد تشغيله على حصة العراق في نهر دجلة بشكل كبير مما سيجل النهر أرضا بلا ماء. والفرات يروي غرب العراق وخاصة النجف والديوانية والحلة والسماوة التي تزرع الشلب وربما سنعجز عن تأمين المياه لتأمين زراعة هذا المحصول الصيف القادم إذا لم تتوفر الكميات المطلوبة كما يؤكد الخبراء .

وتشير بعض الدراسات التي قام بها عدد من الخبراء العراقيين إلى أن خسارة كل مليار متر مكعب من مياه الفرات في العراق تؤدي إلى نقصان 26 ألف دونم من الأراضي الصالحة للزراعة، كما يتنبئون بخسارة حوالي 40% من هذه الأراضي الزراعية جراء ارتفاع معدلات الملوحة في مياه الفرات. ويؤثر انخفاض المياه على الأسماك لان نقص الأوكسجين الحيوي المذاب سيعمل كقوة طرد للأحياء المائية المهاجرة بسبب زيادة السدود وعليه اخذ العراق يشكو من نقص حاد في أعداد الأسماك(38).

ثانياً: التأثير على قطاعي الصناعة والكهرباء: وقد حذر الخبراء من مخاطر هذه المشاريع. التأثيرات السلبية لمشروع الغاب وسيؤدي مشروع الغاب إلى قلة مناسيب المياه الواصلة إلى العراق وبالتالي تدمير الأراضي الزراعية وبالتالي تصحرها، كما ستؤدي انخفاض مناسيب المياه إلى انخفاض توليد الطاقة الكهربائية حيث سيؤدي هذا المشروع حال اكتماله إلى إغلاق أربع محطات لتوليد الطاقة الكهربائية تنتج 40% من طاقة البلاد. كما سيؤدي انخفاض مناسيب دجلة والفرات إلى نفاذ مياه الخليج المالحة إلى شط العرب.

إن الأزمات المائية هي الأخطر التي يتعرض لها العراق منذ نصف قرن وصفها الخبراء بأنها فجوة مائية خسر العراق جراءها 40% من أراضيها الزراعية مما أدى إلي توقف المحطات الكهرومائية في دربندخان والموصل وسامراء . والآن في سد حديثة الطاقة القصى بالمحطة الكهرومائية 600 ميغاواط لكن فقط هناك تشغيل 43 ميغاواط منها. وفي سد الموصل مصممة لانتاج 810 ميغاواط حالياً تنتج 300 ميغاواط فقط وهذه كميات متدنية جدا. وفي دوكان ودرينديخان أيضا تدنت بشكل حاد نتيجة عدم وجود كميات كافية من الخزن لتوليد الكهرباء. فالنقص بالمياه أدى لنقص في الكهرباء. وتحتاج المحطات الحرارية إلى كميات من المياه لأغراض التبريد أيضا تتعرض لمشاكل فنية . والعراق دولة مصب والجوار دول منبع هذا يجعل العراق أسير السياسات المائية لهذه الدول.

ثالثاً: الأضرار البيئية والصحية: إن النظام العام للأمطار العراق يمتاز بالتدني والموسمية. وتؤكد تلك الدراسات أن موجة الجفاف وتقلص فترات هطول الأمطار أدى إلى تضاؤل كمية المياه الجارية في الأنهار وجفاف الآبار والعيون، وتحول كثير من المجاري المائية إلى مواضع للنفايات ومراتع للحشرات والقوارض، ومصدرا للروائح الكريهة، أي تحولت إلى مجاري تعاني من الطفيليات والذباب والبعوض، ومرتع لأوساخ الناس، ومخلفات المطاعم القريبة. وهذا النقص له تأثيراته السلبية على البيئة العراقية منها زيادة نسبة التصحر. والتأثير في إمدادات المياه للأهواز كماً ونوعاً وربما أدى إلى تحفيفها طبيعياً. وسيزيد من نسبة الملوثات في مياه الأنهر. ويؤثر بشدة في موجود المياه الجوفية ويخفضه. ويزيد من نسبة ملوحة الأرض لعدم اشتغال المبازل بصورة كفاءة إضافة إلى نوعية المياه الواصلة إلى سطح التربة عن طريق الخاصية الشعرية. وسوف يعمل انخفاض الوارد المائي في دجلة مثلا إلى تملح التربة وتدهور إنتاجيتها، إذ تقدر المساحات الإجمالية التي يمكن إروائها

بالعراق على المدى المستقبلي في ضوء انخفاض الوارد المائي (15,8) مليون دونم(39). ولقد ارتفعت نسبة الأملاح الذائبة في الأنهار بسبب عمليات الخزن الكبيرة التي تقوم بها تركيا في مشاريعها التي نفذتها والمستمرة في تنفيذها ضمن ما يسمى بمشروع الكاب(40). علاوة على تقليص المناطق الخضراء والمراعي والمساحات المزروعة وما يعنيه ذلك من تأثير على المناخ ورفع درجات الحرارة وتغيير طبيعة المنطقة بيئياً.

رابعاً: التأثير على بحيرات العراق: قدر مجموع مساحة البحيرات الكبرى في العراق (الثرثار، والحبانية، والرزاية) بـ 373 ألف هكتار، انخفضت مساحتها إلى النصف في الوقت الحاضر؛ بسبب شحة المياه الواردة إلى البلاد، بعد قيام كل من سوريا وتركيا وإيران ببناء سدود على نهري دجلة والفرات أو تغيير مسار روافدهما المؤدية إلى العراق.

خامساً: التأثير على جغرافية وتاريخ العراق: تتحكم تركيا بأكثر من 80% من مياه دجلة والفرات، وذلك يعني أن نقصاً خطراً ومهلكاً بإمدادات المياه الواصلة إلى العراق سيحدث في غضون سنوات. وهذا يعني إن حضارة وادي الرافدين التي تمتد إلى آلاف السنوات ستصبح رواية تذكر في التاريخ. وإن جغرافية انهار العراق وموقعه الإستراتيجي سيتأثر من حيث الأهمية هو الآخر.

سادساً: تأثير السدود على الزلازل: إن بناء السدود وإنشاء البحيرات خلفها يتسبب في حصول تغير في توازن القوى الطبيعية عند مواقع البحيرات أو المناطق القريبة منها، وبما إن الطبيعة تتكيف مع الأوضاع الجديدة، فقد يصاحب ذلك تغييراً " في مستوى النشاط الزلزالي لتلك المناطق. وقد يستمر النشاط مدة زمنية يعود بعدها إلى حالته الطبيعية عند الوصول إلى حالة اتزان القوى المؤثرة في تلك المناطق، وبصورة عامة يعتقد إن حصر المياه بشكل ثقلاً على قشرة الأرض وسيغير من نمط الإجهاد على الصخور تحت قاعدة البحيرات أو قربها(41).

سابعاً: الأضرار بالجوانب القانونية واحترام سياسة الجوار: إن القوانين والمواثيق الدولية تقر في حقوق الدول المشتركة في الأنهار. وقد وقعت تركيا نفسها على أكثر من ثلاث عشرة معاهدة وبروتوكول وبيان مشترك مع كل من سوريا والعراق ابتداء من معاهدة لوزان عام 1920 وانتهاء بالبيان المشترك الموقع مع سوريا عام 1993 (42). إلا أنها لم تلتزم بها. وعلى سبيل المثال أن مجموع المياه المخزونة بمشروع ألكاب وحده تبلغ حوالي (90) مليار م³ أي ثلاث أضعاف الوارد المائي لنهر الفرات ، وهذا ما يتعارض مع النظام القانوني الذي يحكم الاستخدام المشترك للأنهار الدولية والذي يفرض أن يكون استخدام المياه بصورة عادلة ومنصفة غير ضارة بالغير. ومن ثم لا يجوز لأية دولة أن تقوم بأي مشروع على حوض النهر يؤدي إلى الإضرار أو المساس بحقوق الدول الأخرى، وهو أحد المبادئ التي أقرتها محكمة العدل الدولي في لاهاي عام 1974 لحل النزاعات الدولي على المياه حيث أكد النص القانوني على (منع أي أعمال تؤدي إلى حصول أضرار بيئية في الدول المتشاطئة) وتتدرج تركيا لتسوية مشاريعها بعدم وجود اتفاقية لتقاسم المياه من خلال تقديم تفسيرات خاصة للقانون الدولي حول اقتسام مياه الأنهار مع الدول التي تتشاطئ معها، حيث ترفض تركيا إدخال حوضي دجلة والفرات ضمن مفهوم الأنهار الدولية، بل تعدها أنهاراً عابرة للحدود وهو مفهوم غريب، إذ لا يوجد شيء في القانون الدولي اسمه أنهار عابرة الحدود، وبموجب هذا المفهوم فقد اعتبرت تركيا أن نهري دجلة والفرات مياهاً مملوكة للدولة التركية لها كل الحق في التصرف بها منكرة بذلك الحق التاريخي المكتسب منذ آلاف السنين لكل من العراق وسوريا، وعليه فقد بدأت تركيا بتخطيط وتنفيذ العديد من المشاريع المائية على هذه الأنهار متجاهلة حقوق دول الجوار.

ثامنا: الإخلال بالعقيدة الإسلامية وتعاليم الدين الحنيف: ان العراق وتركيا دولتان إسلاميتان جارتان لهما تاريخ وارث مشترك. وكلاهما يشكل الدين الإسلامي له الدين الرسمي للبلاد. كما إنهما أعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي. لكن تركيا تسعى من خلال هذه المشاريع المقامة على نهري دجلة والفرات الى الضغط على العراق من اجل مبادلة النفط بالمياه او بيع المياه له او لغيره وهذا يتنافى مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بأنه نهى عن بيع الماء وعن بيع فضل الماء وقوله (صلى الله عليه وسلم) (المسلمون شركاء في ثلاث : الماء والكأ والنار ، وثمانه حرام) ، وقوله عليه الصلاة والسلام (ثلاث لا يُمنَعن : الماء والكأ والنار).

الخاتمة

اقتربت أرض العراق عبر التاريخ باسم نهري دجلة والفرات فأصبحت تعرف باسم بلاد الرافدين قبل إن يتكون العراق. وعلى ضفاف هذين النهرين بنى العراقي أقدم حضارات العالم. وقد اتسعت تسميات العراق عبر آلاف السنين وكانت متعاقبة مع نهري دجلة والفرات وعلى سبيل المثال أكدت المعاجم العربية إن اشتقاق تسمية العراق من عروق الشجر، أو لأنه يقع على شاطئيّ دجلة والفرات.

وان سكان الرافدين خصوا نهر الفرات بنوع من التقديس والتعظيم أكثر من غيره . ويعود السبب في ذلك إلى دوره الكبير الحيوي في حياتهم فهو النهر العظيم حسب اعتقادهم نهر المعابد المقدسة التي حفرته الآلهة لتنعم البلاد بنعمة مياهه فهو مصدر الرخاء والحياة لذلك تركزت على ضفافه المدنية ومراكز النشاط الحضاري القديم. وأطلق على العراق تسمية (ميسو بوتاميا) (بلاد الرافدين) أو (بلاد ما بين النهرين)، المشتقة من كلمة (ميسو) التي تعني (وسط) و(بوتاميا) تعني (الأنهار)، وقيل: العراق شاطئ النهر أو البحر على طول، وقيل عراق لأنه على شاطئيّ دجلة والفرات حتى يتصل بالبحر. والحقيقة التي يجب ذكرها هنا إن هنالك معانقة أبدية بين أبناء الرافدين وبين مياه النهرين وهي مستمرة عبر آلاف السنين. لقد ظهر من خلال سير البحث إن التحديات الحالية والمستقبلية التي تواجه النهرين كبيرة في الحاضر والمستقبل. وتتمثل هذه التحديات بانخفاض الحصص المائية للعراق بسبب سياسات دول الجوار من خلال السدود والخزانات ومحطات الكهرباء التي شيدتها. والتي انعكست على ضعف كفاءة قطاعات الزراعة والصناعة والكهرباء في العراق . ولقد تعرض الأمن الغذائي لتهديد خطير في العراق لان المحاصيل الرئيسية الإستراتيجية مثل الحبوب تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه، وهذا يؤدي إلى نوع من التبعية الاقتصادية لضعف الاكتفاء الذاتي. علاوة على التأثير الكبير في البيئة العراقية، من تصحر وجفاف وزيادة الملوحة في المياه ومشكلات التلوث الناتجة من قلة الموارد المائية وحصص العراق من النهرين.

التوصيات

1- إن مستقبل العلاقات السياسية وعلاقات حسن الجوار بين الدول المتشاطئة على نهري دجلة و الفرات يقوم على التعاون الإقليمي لحل المشكلات التي تواجه تقسيم المياه بصورة عادلة ، وهذا ما يتطلب من جميع الدول المتشاطئة مراعاة بعضها البعض.

2 - ضرورة إن يكون هنالك لجان دائمة واجبها تقييم إيرادات النهرين ودراسة مشاكله الطبيعية وانسيابيتها للدول الثلاثة المشتركة بنهري دجلة والفرات بشكل صحيح.

3- يجب الاعتراف بان نهري دجلة والفرات انهار دولية مشتركة وليس انهار عابرة كما تدعي تركيا. وهذا ما يستلزم الارتكان إلى القواعد القانونية والأعراف الدولية العامة الملزمة لجميع الدول والقابلة للتطبيق على

المجاري المائية الدولية كمبدأ حسن الجوار وحسن النية وبخاصة الاتفاقية الأخيرة لعام 1997 الخاصة بقانون استخدام المجاري المائية الدولية في الأغراض غير الملاحية.

4- ضرورة الالتزام بتبادل المعلومات التفصيلية المتعلقة بهذا المورد المائي المشترك كالمعلومات عن أسباب تردي نوعية مياه نهر الفرات ، وانقراض أو التهديد بانقراض العديد من الأحياء المائية التي كانت تحيي في مياهه الرقاقة العذبة ولاسيما بعد مشروع جنوب شرق الأناضول والذي يضم عدداً كبيراً من السدود.

5- إن العراق يستورد معظم سلعه الغذائية والاستهلاكية بشكل كبير من الخارج وخصوصاً من دول الجوار تركيا وإيران وسوريا. كما ان اغلب سكانه يزورون هذه الدول لغرض السياحة والاصطياف وينفقون آلاف الدولارات. وهذا يستدعي استخدام الورقة التجارية في التعاملات السياسية وخصوصاً مع الدول الذي يعاني منها في أزمة المياه.

6- إن حقوق العراق في مياه نهري دجلة و الفرات تُعد حقوق أصلية موعلة بالقدم تمتد جذورها إلى آلاف السنوات. وعليه ان من واجب وزارة الثقافة والإعلام ومنظمات المجتمع المدني ونقابة الصحفيين والفضائيات العراقية وسفاراتنا في الخارج أن تشن حملة إعلامية مستمرة لا انقطاع لها لحين أن يعرف المجتمع الدولي حقيقة الأمر ومطالب العراق المشروعة في النهريين وما يعانيه من تدهور بيئي وتنموي بسبب قلة المياه وتردي نوعيتها وذلك للضغط على دولة المنبع تركيا والدول الأخرى التي تؤثر في حصة العراق المائية.

7- على وزارة الموارد المائية القيام بتنفيذ سدود لاحتجاز المياه المتدفقة إلى شط العرب والخليج العربي التي تذهب هباءً وهو ما يتطلب من الحكومة إن ينصب جهداً على تطوير ما موجود لديها من مشاريع وصيانتها وتوسيعها. لإسقاط الحجج الواهية التي تدعي بها كل من تركيا وسوريا.

8- نتمنى على جارتنا جمهورية إيران الإسلامية عدم التأثير على مياه شط العرب والأنهار الموجودة في ميسان و ديالى. من خلال قيامها بتحويل مجاري المياه التي كانت تساهم في تغذية انهار العراق إلى داخل إيران. وهذا يؤثر بشكل سلبي على انهار العراق. وما له من آثار سلبية على الزراعة والأحياء ومياه الشرب.

9- على الحكومة العراقية ووزارة الموارد المائية وضع برنامج تنفيذي يتضمن ما يأتي:-

ا- تخطيط استثمار الموارد المائية على نحو متكامل.

ب- رفع كفاءة استغلال الموارد المائية من خلال تقليل الهدر فيها واعتماد الطرق الحديثة في الري.

ج- التوسع في استخدام طرق الري الحديثة لتقليل الفاقد من المياه عن طريق الري واستخدام الري التكميلي في المناطق الديمة.

د- الاهتمام بالسدود والخزانات وإعادة تأهيلها.

هـ- الحفاظ على الثروة المائية بتخزينها ونقلها من المواسم الرطبة إلى المواسم الجافة وتوزيعها خلال أيام السنة وفقاً لمتطلبات الري والاستعمالات الأخرى.

و- تبطين قنوات الري وعدم اقتصرها على القنوات الرئيسية في المدن. لتقليل الضائعات من المياه المتسربة من القنوات الغير مبطنة.

ز- زراعة المحاصيل التي تحتاج إلى مقنن مائي يتلاءم والإمكانيات المتاحة من المياه في الوقت الحالي.

ح- اتخاذ إجراءات قانونية لمنع تلوث الأنهار بالمخلفات الصناعية. ومحاسبة المقصرين بذلك.

المصادر

- القران الكريم
- 1 - بلدان الخلافة الشرقية، ص41.
 - 2 - Hérodote, Histoires, Livre I, traduit par : Legrand, Les belles lettres, paris, 1936,177.
 - 3- ابن منظور (لسان العرب، 247/1-248).
 - 4- هنري بدروس كيفا (الاختصاصي في تاريخ الأراميين)، بيت تهرين تسميتها - موقعها - حدودها ، باريس، فرنسا ، بلا تاريخ ، ص 12 .
 - 5- معجم البلدان .. 93 /4 .
 - 6- راجع العمري، مقدرات العراق السياسية، ص5.
 - 7 - أصل كلمة العراق ومعناها، مجلة لغة العرب، يناير 1927
 - 8- هنري بدروس كيفا (الاختصاصي في تاريخ الأراميين)، مصدر سابق، ص22.
 - 9 - هنري بدروس كيفا (الاختصاصي في تاريخ الأراميين)، مصدر سابق، ص27.
 - 10- مختار الصحاح ، 282.
 - 11 - العصور القديمة ، ص 118 .
 - 12-سورة محمد ، الآية: 15
 - 13-سورة الفرقان الآية 25
 - 14-سورة فاطر الآية 11.
 - 15-سورة المرسلات الآية 24-26
 - 16- أبو عبد الله البخاري، في كتاب بدء الخلق، باب 6 ، ص 3207.
 - 17 - الكتاب المقدس (تك2:10-14).
 - 18 - الكتاب المقدس (تك4:2-17).
 - 19 - سفر التكوين ، (2 : 14).
 - 20 - (سفر التكوين 10:24
 - 21 - محمد الكحط ، الديانات السماوية وتحريم اراقه الدماء، موقع مركز كلكامش للدراسات والبحوث الكردية، ستوكهولم، الأربعاء 2007/7/11).
 - 22 -George Contenau, Les Civilisations Ancienne de Proche- Orient, P U F, Paris, 1945, P 10 .
 - 23 - سامي سعيد الأحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، مطبعة الجامعة، بغداد، 1975 ، ص24 .
 - 24 - بالخير بقة ، أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية (سومر وبابل 3200 -539 ق . م) رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، غير منشورة ، جامعة الجزائر- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2009 ، ص24.
 - 25- موقع وزارة الموارد المائية في سوريا، تاريخ الولوج 201/2/26
 - 26-عبد الملك محمود، حرب بلا رصاص، ضوء على أزمة المياه في العراق، مجلة الرائد، العدد 31 ، 2008، ص23.
 - 27- فاروق توفيق إبراهيم، العلاقات الاقتصادية العراقية- التركية في مجال النفط والمياه، بحث مقدم إلى معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، بغداد، 1986، ص 103.
 - 28- ريان ذنون العباسي، مشروع سد اليسو وتأثيره على الوضع الاقتصادي في العراق ودول الجوار، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، 2007، ص4.
 - 29- وفيق الخشاب ، الإطار الدولي للموارد المائية في العراق، مجلة الأستاذ، كلية التربية، بغداد ، المجلد 15، مطبعة الحكومة، 1986، ص213.
 - 30- سالم الياس سليمان، الموارد المائية في حوض نهري دجلة والفرات، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى معهد الدراسات الآسيوية الإفريقية الملغى، الجامعة المستنصرية، 1988، ص 106.
 - 31 -جميل محمود خاور، الموارد المائية والسود في إيران والمياه الحدودية المشتركة مع العراق، بحث مقدم إلى وزارة الزراعة والري، قسم الموازنة المائية، نيسان، 1993، ص15.
 - 32- كريم سالم حسن، أزمة المياه العربية، التحديات وسبل المعالجة، مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية، العدد 35، مجلد 3 ، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة القادسية، 2006، ص 52.



- 33- صبرية احمد لافي الغزيري، استثمار الموارد المائية السطحية في العراق وأثرها في الأمن الوطني، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1996، ص186.
- 34- وزارة الموارد المائية، قسم المدلولات المائية، بيانات غير منشورة ، 2010.
- 35- صاحب الربيعي، أزمة حوضي دجلة والفرات وجدلية التناقض بين المياه والتصحر، ط1، دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1999، ص 154.
- 36 -وفيق الخشاب ومهدي الصحاف، الموارد الطبيعية ، ماهيتها وتعريفها وأصنافها، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1976، ص169.
- 37- دلال عايد كامل، تقويم جغرافي لإيرادات العراق المائية من نهر الفرات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، 2012، ص110.
- 38- نجم قمر الدهام، تنمية الثروة السمكية في منطقة الاهوار(المعوقات والحلول)، مجلة الخليج العربي، مجلد 22 السنة 6، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1988، ص.89
- 39- وليد عبد الحميد صالح، السياسات المائية في العراق، دراسة مقدمة لمؤتمر استراتيجيات القطاع الزراعي، بغداد، 1997، ص2.
- 40- صباح محمود محمد ووليد محمود ابو سليم، الأمن المائي العربي، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، 1998، ص22.
- 41- ساطع محمود الراوي، بعض الجوانب البيئية لمشاريع تنمية الموارد المائية في تركيا وانعكاساتها السلبية على العراق، ندوة الموارد المائية لدول حوض دجلة والفرات دوافعها وآفاقها المستقبلية، مركز الدراسات التركية، جامعة الموصل، الموصل، 1993، ص95-97
- 42- المركز العربي للمناطق الجافة والقاحلة والاتفاقيات الدولية التي تنظم الاستفادة من الموارد المائية، المؤتمر الوزاري لوزراء الزراعة والري، القاهرة، 1997، ص63.